رفع أكف الضراعة

في

جمع كلمة أهل السنة والجماعة

[الطبعة الثانية]

الدكتور

محمد محروس المدرس الأعظمي

1421هـ 2000م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارتضى لنا الإسلام ديناً ، وأتمَّه تشريعاً وتهذيباً ويقيناً[1] ، إليه الملجأ في كل آن .. ليحفظنا ويقينا ، نصر نبيه ، وأظهر به دينه .. صدقاً ، وحقاً مبينا ، ووعد المؤمنين بالنصر ، ما إن كان لهم وصف الإيمان قرينا .

يقول المولى : { إنَّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد }[2].

ويقول جل وعلا : { .. وكان حقاً علينا نصر المؤمنين }[3] .

نصر الصحابة الكرام في المحن بعد غياب نور النبوَّة ، فثبتت بتبصيرهم أقدام بعد أن كادت أن تزل بقوَّة .

---

[1] إشارة إلى معالجات الإسلام الثلاث المستوعبة لكلِّ النشاط الإنساني : عقيدة ، وأخلاق ، وأمور عملية [تشريعية] بأنواعها المتعددة .. عبادات ، ومعاملات ، ومناكحات ، وعقوبات ، وسياسة المخلوقين ، ومواريث .

[2] **غافر / 51 .**

[3] **الروم / 47** .

وقف – أبو بكر الصديِّق ﷺ - بعد وفاة المصطفى ﷺ .. وقال :

[من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت] .. بعد ذهول العباقرة الجهابذ ، وانكسار نفوس الصناديد الخناذذ ، فثبتت به – بعد فضل الله – الأمة ، ولا ريب فقد حوى أبو بكر ﷺ حوى الفضل رداءً وعِمَّة .

×××××××

ويقف عمر بن الخطاب ﷺ بعد فتح : العراق ، والشام ، ومصر .. ليُصرَّ على إبقاء الأراضي للدولة ، وإبقاء أهلها عليها ، ففتح بذلك فتوحاً للدين ، دونها فتوح الفاتحين ! .

×××××××

ويُحاصر المتجرؤون الضَّالون بلا حجة ولا برهان ، خليفة الرسول الأمين في المسلمين ، وظل ربِّ العالمين ، الإمام الشهيد عثمان بن عفَّان ، وهم واقعون تحت تأثير ابن السوداء اليهودي المعروف بـ [ابن سبأ] [4] ، واتَّبعوه فيما لم يأتهم به خبرٌ ولا نبأ .. فكان جوابه ﷺ حين طلبوا إليه أن يخلع نفسه : [والله لا أخلع ثوباً ألبسنيه الله] .

×××××××

4 يهودي من اليمن ، أظهر إسلامه رياءً وكذباً ، ونادى بـ : الوصاية ، وانحصار الخلافة بعائلة النبيِّ ﷺ ، ودعا لعليٍّ ﷺ .. ثم نادى به إلهاً !! ، ودعا الناس إلى خلع سيِّدنا عثمان ﷺ ، وتمكن من قيادة تلك الفتنة العمياء ، والضلالة السوداء ، التي ما تزال آثارها إلى اليوم باقية .. فلنحذر من [أبناء السوداء] – وهم كثرٌ – في أزماننا .

ويقف علي ﷺ في صفين ليرد على شبهة الخوارج ، حين قالوا : [لا حكم إلا لله] !! .. بقوله : [كلمة حقٍ أريد بها باطل] ! ، فخاب هؤلاء في الأواخر والأوائل .. ولم يفوزوا بين الناس بطائل .

×××××××

ووقف الإمام الأعظم ، والمجتهد الأقدم ، أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، جوزي عن دين المصطفى خيراً و كوفي ، من دعاة الزيغ والضلال التي كان يموج بهما العراق ، وكانت لأدنى الأسباب فيه الدماء تُراق ، وما تمتع أهلُه بـ : ظلٍ ، ولا نخلٍ ، ولا رقراق .. بل شُغلوا بمقولاتٍ ، وبالسفاسف والجهالات ، فتصدى لهذا كله في كتبه الكلامية : الفقه الأكبر ، والفقه الأبسط ، والعالم والمتعلم ، وفي رسالتيه إلى أبى يوسف والى عثمان البتّي ، ... وغير ذلك .

وفي [الفقه الأكبر] النصر المؤزر ، إذ أصَّل أصول عقيدة أهل الحق والاستقامة ، وأصحاب الشورى في الإمامة ، مفنداً دعاوى غلاة المتصوفة ، ومهاوي ضلالات المعتزلة المخرِّفة ، وترهات الخوارج على كل مألوف ودارج ، ونقض مقولات الروافض ، { قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرَّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ۞ ثم يوم القيامة يُخزيهم ويقول أين

شُركآئي الذين كنتم تُشآقُّون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين } [5] .

وقد أنار [لأهل الظواهر] مغاني المعاني بالنور الباهر ، وسفَّه آراء [جهم] وإرجائه ، حتى ضاق عليه الفضا بأرجائه ، ولهذا ناصبه كل هؤلاء العدا ، وكثر فيهم التخبط - إلى اليوم - والعوا .

××××××××

وفي ذات الحين كان في [طيْبة] الطيِّبة الإمام مالك ، وهو لزمام الحق وناصية الصواب مالك ، أخرج من مجلسه المبتدعة ، وأنكر على المجسِّمة المشنِّعة ، وقال مقولته التي ذهبت مضرب الأمثال بين كلِّ محتاط وورع : [الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلاَّ مبتدع] .

×××××××

ثم قام أبو عبد الله الإمام أحمد بن حنبل الشيباني معتمداً الطريق المحمدي النوراني ، صامداً بوجه الابتداع في الدين ، والقول فيه من غير تحرٍ أو بيانٍ مبين ، فصَمَد وصبَر في المحنة ، ولسنا نرجو له إلاَّ الغرفات في الجنة ، فثبَّت الله به أقداما كادت أن تزل ، ولولاه – بعد الله - لدخل من دخل في شرك المهانة والذل ، فهو حقاً إمام الهدى وإمام أهل السنة ، وبطل الثبات في المحنة .

---

5 النحل / 26 – 27 .

ثم ثبَّت الله بعده بالإمام السنِّي الأثرى .. أبى الحسن الأشعري ، أمماً وأجيالاً على العقيدة الصحيحة للأُمة ، وأجهز على محتَضِر مذهب مجوس هذه الأمة ، بتحوُّله من عقيدة المعتزلة[6] ، التي أضحت بعده منعزلة ، إلى عقيدة المسلمين المؤيَّدة بالنصوص المنَزَّلة ، لا بعقول من يحسُن بهم بيع الخُضر والبُقول ، فميادين العقيدة الحقَّة مصونةٌ بفرسان لا يترجلون عن ظهور الخيول ، ولا يضعون عن أنفسهم لامَّة[7] الحرب ، ولا يصابون بالخَوَر إو الذهول .

×××××××

ثم انتحل [الروافض] في زمن البويهيين مقولات أولئك الأموات ، و لكن بعداً لهم و هيهات ، إن [يرجِع] أولئك من الأجداث .. هيهات .

ثم نرى وقد انقضَّ على هؤلاء وأولئك شيخ الإسلام ، وسيف أهل السنة الصمصام ، [بمنهاجه] القويم من غير منَّة ، وله الحق كل الحق حين سماه بـ [منهاج السنة][8] .

---

6 المعتزلة : مذهب اعتقادي ، نشأ بالبصرة حين [اعتزل] أحد تلامذة التابعيِّ الجليل الحسن البصري .. وهو المسمَّى [واصل بن عطاء] ، وأحدث مقولاتٍ في المسلمين ، حتى إذا ما تركها أصحابها ، تصدَّى لها [الروافض] بالتصديق ، وجعلوها دينا !! ، وأرادوا تعزيز مقزلاتهم بها .. ولكن هيهات هيهات ، أن يُفلحوا وعلماء الحقِّ يفضحون لهم كلَّ افتئات .. والحمد لله .

7 لامَّة الحرب : عدَّتُها التي يلبسها المقاتل .

8 كان الملك [خدابندة] – من نسل هولاكو – قد أسلم فانتحل مذهب أهل السنَّة والجماعة ، وعرض له تطليق امرأته التي يُحبُّها حبَّاً جماً –وكان الطلاق بالثلاث - ، فاستفتى العلماء

×××××××

إن مقولات أولئك الأبعاد – تالله – مردودة منقوضة ، وعقيدة الأمة المسلمة المسلَّمة .. مصانة محفوظة ، { إنّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون } [9].. وهل الذكر إلاَّ : تشريع ، وأخلاق ، وتبيان لما يعتقدون !.

إذن هم في ميدان : الحِجاج .. والنِزال .. والطعان ، ليس لهم : حُجَّة .. ولا دليل .. ولا بيان ، فتراهم يتوقَّون المواجهة و[يتَّقون] ، ويا ليتهم لربهم يتَّقون ، لكنهم في الدس .. هم كأصحاب الرَّس ، ولهم في : تقطيع الأقوال .. وبتر المقال .. بل وإصدار طبعات كاملات من الكتب الأمَّهات ، لأجل تحريف رأيٍّ .. أو نسبة شين ، باع طويل لا يطال لأنَّهم هم أهل الكذب والمين !!.

فلم يُفتهِ أحد .. فجاء [المطهَّر الحُلي] من الحلة ، فسأله : هل يشهد على طلاقك شاهدان ؟ ! ، فقال له الملك : ومن أين يأتي الشاهدان وأنا في خاصَّة حرمي ؟!! .

فأفتاه بعدم وقوع الطلاق !! ، رغم إخباره هو عن فعله ، [والإقرار سيِّد الأدلة] . ثم تحوَّل ذلك الملك إلى مذهب الرفض !! ، فألف له المذكور كتاباً أسماه [مفتاح الكرامة]! .. وأسماه العلماء [مفتاح الندامة] ، وقد تصدَّى له شيخ الإسلام الإمام الهمام [بن تيمية] المعاصر له ، فألف كتابه الشهير الذي نصر به الحق ، وأظهر به مذهب أهل السنَّة .. المسمى [منهاج السنَّة] ، واختصره تلميذه الإمام الذهبي بكتابه المسمى [المنتقى من منهاج الاعتدال] .. وحريٌّ بكلِّ مسلمٍ أن يرجع إلى ذلك الكتاب المستطاب ، وإن فاته فإلى مختصره المُهاب .

9 الحجر / 9 .

لقد خسر هؤلاء - كعادتهم - الحروب ، فلجأوا إلى تغيير الأسلوب ، فانتحل [قبيل][10] منهم – في أزماننا – حبَّ السلف !! ، وما أصدِّق قولاً لأحدهم ولو أقسم أو حلف ، وتزيَّوْا بزي البعض من مخلصي الشباب المسلمين ، وارتادوا مساجد الموحدين ، و[رفعوا][11] ووضعوا ، وأظهروا وأضمروا ، { بل الذين كفروا في تكذيب ۞ والله من ورائهم محيط ۞ بل هو قرأن مجيد ۞ في لوح محفوظ } [12] .

×××××××

لقد جرَّ أولئك [الأبعاد][13] البعض ممن لم يقف على مواقف أسلافنا من العلماء ، إلى الانتقاص منهم انتقاما لأنفسهم ، لما تركه الأسلاف من أثر في تطويق عقائدهم ، وفضح إبرامهم وعَقْدِهم ... ولو شئت لسمَّيْت لك وأفصحت ، وأبنت وأظهرت ، فليس الكلام مبني – فقط – على الدراية ، بل على : مشاهدة ، وتواتر ، رواية .

لقد اتخذ هؤلاء من بعض المدن العراقية .. موطناً لتدريب أُناسٍ على كيفية التحدث بلهجة أبنائنا في المساجد ، وأحبابنا من محبِّي رموز

---

10 فيه إشارة إلى قوله تعالى – عن إبليس _ : { يا بني آدم لا يفتنَّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنَّة ينزع عنهما لباساهما ليُريهما سوْءاتهما إنَّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنَّا جعانا الشياطين أولياء للمؤمنين } الأعراف / 27 .

11 فيه تورية عن : الرفع والوضع في الدين ، والرفع في الصلاة متشبيهين ببعض أحبابنا .

12 البروج / 19 _ 22 .

13 جمع [بعيد] ، وفيها تورية .. فالبعيد عنك ما ليس له قربٌ بك ، والبعيد .. وصفٌ لمن ليس له القبول عندك لفعله السئ .. وكلا الوصفين منطبقان على أولئك .

الأمـة الأفـذاذ الأمجـاد ، ثـم يُلقـون بيـنهم الـشُبه ، ويُثيـرون عويـصات المسائل ، ثم يجعلون بينهم وبين أهل الحق من أهل العلم كل حائل ، فهذا : حكومي ..! ، وهذا صوفي ..! ، وذاك منغلق ..! ، والآخر مفرِّق .. ! ، والخامس .. والسادس .. وهكذا !! .

ثم لا ترى أحداً يستدل – في مجموع تهمه - بآية ولا بحديث .. بل ليس لأحدهم في اتّهاماته إلاّ الرأي الحادس ! ، وليسس بالرأي الفاحص !.. فهم ينكرون الرأي ويجعلونه تطاولاً على النصوص ، وعزوفاً عن المنصوص !! ، وحين تكون المسألة لهم ، تراهم يستعينون بأرذل الرأي .. وليس أحسنه !! .

حتى إذا أسقطوا علمـاء الأمة ، ومراجعها في كل ملمَّة ، وأبعدوهم من حساب هؤلاء الأبناء ، ألقوا إليهم بمختلف الأنباء ، وخلا لهم الجو ، ولقنوهم بعض مسائل الزيغ والعتوِّ ، مقطعين من النصوص الأوصال !! ، داعين إلى : قطع الألفة .. والمحبة .. والوصال ، مع كل من يُظن به : التوجيه والتسديد.. أو فضح الزيف بالرأي السديد .

بل نراهم يلقنونهم وجوب اتّهام العلماء بكل وصف دنيء ، والتفوُّه بحقهم بكل لفظ بذيء ، ويُنسونَهم قول المصطفى ، نبي الوئام والصفا : { ليس المسلم بلعان ، ولاطعان ، ولا فاحش ، ولا بذيء }.

×××××××

جاءني – يوماً - من يقول : [كيف تُكفِّرون من يسب الأصحاب ، أو يتهم عائشة ﷺ بزنىً ، وهذا أبو حنيفة .. يقول : [لا نكفر أحداً من أهل القبلة] ؟! .

قلت : بل قطعتم كلمة واحدة فقط ، وهي .. [بذنبٍ] !! توضع بعد القبلة ، وقوله هذا ردٌّ على الخوارج المكفرِّين لمرتكبي الكبيرة ..أي : الذنب !! ، فهو لا يكفرُّ بالمعصية ، ويُكفِّر بالجحود ، ويكفِّر بتنكُّب الإجماع .. أو النصوص .

ثم قلت : فلا تجعلوا ما قال – من غير تحرٍ ولا استدلال - لمصلحة الروافض ، فسَّابهم ﷺ .. ومتَّهمُها ﷺ .. مخالف لقطعي النصوص ، وصريح المنصوص ، بل عند الأحناف لا تقبل له توبة ، لتعلق حقهم ﷺ الشخصي بذلك ، فلا بد من حد الردة لعدم قدرتهم على الإثبات ، ولعدم تنازل المطعونين لأنهم أموات ... فبُهت ذلك المغفل !! .

×××××××

وبالمقابل .. نجد من أولئك [المندسين] من انخرط في سلك بعض الطرق الصوفية ، وبالغ وغالى ، وتبرا ووالى ، وأظهر من أمره فيهم ، ما لم يُعهد من صادقيهم ، وتردد وعاود ، على تكاياهم ونددد ، بالمخالفين الذين اتَّهمهم .. وأغلظ عليهم .. بل بالغ وشدَّد !!.

×××××××

فيا لله من هذه الفتنة [الباطنية الجديدة] التي يُحسنها قومٌ ، وينخدع بها آخرون مؤمنون ، و [الفاجر خبٌّ لئيم] .. { ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخِرِ وما هم بمؤمنين ③ يُخادعون اللهَ والذين آمنوا وما يخدعون إلاَّ أنفسهم وما يشعرون ③ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ③ وإذا قيل لا تفسدوا في الأرض قالوا إنَّما نحن مصلحون ③ ألا إنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ③ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أ نؤمن كما آمن السفهاء ألا إنَّهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ③ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون ③ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، أولئك الذين اشتروا الظلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين } [14] .

لقد أضحى أحبابنا يتراشقون بالاتهامات ، ويغلظون في العبارات ، وقد أُنسوا أدب الإسلام في السخط والرضا ، والصبر ولو على نار الغضى ، وأضحى هذا لا يصلي خلف هذا !! ، وذاك لا يدخل مسجد أولئك !! ، ونسوا أنهم .. [أهل السنة والجماعة] ، وأن .. [الفرقة عذاب] ، وأمسوا مثل أولئك الذين تعددت في [المغارب] جماعاتهم

14 البقرة / 8 – 16 .

!! ، وكانوا مثل من تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ممن انقسموا إلى : فرق .. ونحلٍ : [أصولية] و [أخبارية] !! .

ولقد انقسم أصوليُّوهم – بعد هذا – إلى عدد كل عالم متبوع عندهم ، فكان العلم فيهم مفرِّقاً !! ، وينبغي أن يكون عندكم – أيها الشباب- مجمِّعاً ، ولا تجعلوا أولئك الباطنيين يضحكون ، ويعودون إلي شياطينهم وهم يتباشرون !! .

×××××××

أيها الشباب .....إنكم من : حفظة القرآن ، وحملته ، بل يأخذ ترتيلكم بمجامع القلوب والألباب ، ولا نظن أحدا منكم لم يقرأ .. قوله تعالى : { يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين } [15]..

بل أتموا الحجرات كلَّها . إن التبيُّن من التديُّن ، والسؤال ديدن أهل الحجى والعقل ، ولكم في قوله تعالى :

{ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } [16] .

×××××××

15 الحجرات / 6 .
16 الأنبياء / 7 ، الأنبياء / 43 .

أيها العلماء ... { ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون } [17] .

لقد جاءكم في محكم آياتِ قرآن ربِّكم :

{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة... }[18].

فليس الخطأ مما يُصحح بالخطأ ! ، وليست الجفوة تُزيل الهفوة ! ، ولا تُزال الهوَّة بالقوَّة ! ، بل ليس ما يجري .. مما يهني ويُمري ! .

×××××××

أيها العلماء ... لقد وصلكم دين محمد ﷺ ، سليماً معافى ، وسالماً كاملًا ، فجعلناه جميعاً على ما نراه !! .

إنَّ الخطاب في الكتاب الكريم إليكم ، والتعويل عليكم ، والإصلاح منكم ، والاحتواء لدسائس الباطنيين يكون بكم .. فما خاطب الله ﷻ الجهلاء ليُصلحوا ما فسد ، أو يُعيدوا إلى الإيمان من جحد ، بل كان عزيز خطابه إلى [أهل العلم] من المؤمنين .

×××××××

17 الحديد / 16 .
18 النحل / 125 .

أيها الذاكرون العابدون ... اعبُدوا الله على بصيرة ، وتعلموا من أمر الدين ما يصلح الظاهر والسريرة ، وليكن أحدكم مبعوث الدين إلى الخلق وسفيره .

واعلموا .. أن العالم مفضلٌ على العابد ، دلت على ذلك أقوال الرسول العالم العابد ، خوطب بـ [اقرأ] قبل كل خطاب ، بل وسيرة المتقدمين من ساداتنا والأصحاب ، وخلق أهل الطريق ، وسيرهم تعلمنا ما ينبغي في المأزق والضيق .

×××××××

أيُّها المسلمون ... احذروا كل دعوة تُلقى ما لم يكن معلوماً لكم مَنْ القائل .. وما قيل ، وارجعوا إلى أهل العلم في كل دقيق وجليل ، فالعلماء .. حجة الله في خلقه ، وورثة نبيه في علمه ، والتعلم شاف للمتعلم ، والتعليم زكاة العلم ، وبه بُعث نبيكم :

{ .. يعلمهم الكتاب والحكمة .. } .

فإلى العلم .. فإن فيه : الحصانة والحصافة ، وبه حسن السياسة والكياسة ، ولا تكونوا بددا ، ولا طرائق قددا ، { إن الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا لست منهم في شيء ... } [19] ، بل كونوا عباد الله إخوانا ، و { يد الله مع الجماعة ومن شذَّ شذَّ في النار } .

×××××××

19 الأنعام / 159 .

واليوم.....نريد أن نخيِّب ظنَّ الباطنيين الذين خرقوا في جسم أهل الحق والاستقامة الخروق ، وأودعوا في أفئدتهم غلَّ اليهود ويريدون تعليمنا لذوينا الجحود والعقوق !! .

وها نحن نضع بين أيدي الأبناء رسالة [العالم والمتعلم] للإمام أبى حنيفة ﷺ ، ونضع صفحات مختارة من كتاب [الإبانة في أصول الديانة] لناصر السنة وقامع البدعة الإمام أبي الحسن الأشعري ، ليتضح لنا أن :

الفقهاء .. والمتصوفة .. وأهل الحديث .. كلهم من : [أهل السنة والاستقامة] و [أهل السنة والجماعة] ، لا تعتريهم فُرقة ، ولا تخرج من بين صفوفهم فِرقة .. إلى يوم الدين - إن شاء الله تعالى - .

ويتَّضح لنا أنَّ :

لجوء من جاء بعد الصحابة من سلف الأمة إلى التأويل مضطرين ، بعد أن ذرَّ قرن الخلافات ، وكثرت الافتراءات ، والنزعات والنزغات ، ومع كلٍّ ما تقدَّ فقد تساهلوا مع أقوامٍ من هؤلاء حين حملوا أقوالهم على التأويل ، وما أخرجوهم من بين المستدلين بالدليل !! .

لقد امتحن أولئك الهداة فاجتازوا ونجحوا ، وَوَفَقوا وواءموا ، ولو سكتوا بعد نجوم سيء المقولات ، وجديد الادِّعاءات .. لاتّهموا بالعجز

!! ، ويا ليت ذلك العجز المنسوب يقف عندهم ، ولا يتجاوزهم إلى دينهم ، ولقلنا : عالمٌ واحدٌ عجز .. والعجز للبشر جبِّلة .

ولكن في عجزهم رميٌ للدين بمثل ذلك ، وسيفرح أعداؤنا .. هؤلاء وأولئك ! ، فهل ترك التأويل أجدى ، أم إنقاذ الدين به أولى وأعلى ؟؟.

لقد لجأ الكثير إلى التأويل البعيد .. بل وغير السديد – في أزماننا - ، وتأولوا آياتٍ لم يقل بمثل تأويلهم لها من [السلف] قائل ، وقبلناه منهم لغيرتهم على الدين ، وتمسكهم بحبله المتين .. وإلاَّ قل لي بربك :

هل قال السلف الصالح ﷺ بـ : وجود النظرية الانفجاريَّة للكون في القرآن !! .

وهل قالوا بوجود نظرية [آنشتاين] القائلة بتحول الطاقة إلى كتلة .. في القرآن العظيم !! .

إن كلُّ ما تقدم يجعل مغالاة البعض منَّا في حال الاختلاف المبرر المقبول ، الذي لا يُخرج المؤمن عن الإيمان والأصول ، أمرٌ لا يقبله المأثور في تلك الأمور !! ..

فمن أين أتينا بتلك المواقف المتشنجة ؟؟ ! ..

وتلك الفوضى والهرجلة ؟؟ ! ..

فحريٌّ بنا أن نتأسى [بالسلف] في هذه المسألة ، وإلاّ :

{ أ لم ترَ إلى الذين بدَّلوا دينهم كفراً وأحلُّوا قومهم دار البوار } [20] .

أ فترضون أن نكون ممن قال فيهم ربُّهم :

{ .. أ فتؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فما جزاء ذلك منكم إلاَّ خزيٌّ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردُّون إلى أشد العذاب وما الله بغافلٍ عمَّا تعملون } [20].

على أن من يبعد منَّا – جميعاً أيَّاً كنا – قليلاً .. ناصَحنا وناصحناه ، وليكن أحدنا مجاهراً بأننا لقول نبينا قد اتَّبعناه :

{ الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة .. } .

فالمناصحة تلقي عن كواهلنا الواجب الشرعي ، ثم نترك كلاً يَلقى ربَّه وقد قامت عليه الحجة ، ونخزي من تسللوا إلى حصوننا المنيعة ، بأساليبهم الشنيعة ، ونصلي بعضنا خلف بعض ، ونحسن الظن بأهل الاستقامة ، المتمسكين بالكتاب والسنة ، ولا نصدق { كل خوَّان كفور } .

×××××××

إنَّ الحريَّ بنا – وهو ما يأمر به ديننا – أن نتّفق على المصطلحات ، قبل الخوض في التفصيلات .. فهل :

---

20 البقرة / 85 .

المتـصوِّفة هـم : أصـحاب الحلـول ، وأصـحاب الـشطح ، وأصـحاب الاتحاد ، والعالة على مجتمع المسلمين ، الخائرين المنعزلين ؟؟ .

أم هـم : مـا عليـه الرسـول ﷺ وأصـحابه ﷺ ، القوَّامـون فـي الليـل ، المجاهدون فـي النهـار ، الـذين لا يـأكلون إلاَّ مِن أكساب يـدهم ، والـذين رابطـوا وجاهـدوا ، وأسـسوا للـدين دولاً ، وكانـت [رباطـاتهم] .. هـي الرباط ؟؟ .

وهل أنَّ السلف هم : أصحاب الفرن السابع الهجري ، أم هم أصـحاب القرن الأول ، والذي يليه ، والذي يليه ؟؟ .

والله .. لو اتَّفقنا على معاني ما عليه نصطلح ، و[حررنا المقام] في موضـع مـا عليـه نختلـف ، حينئـذٍ – تـاللهِ - .. لا نـزاع ، ولا خـلاف ، وسيحيق المكر السيئ بأهله ، ويعود أهل السنَّة .. :

أصحاباً للسنَّة فعلاً ، قـامعين للبدعـة عمـلاً وقـولاً ، مجتمعـة قلـوبهم ، متآلفةً على الحقِّ أفئدتهم ، دعاةً للحق ، ظاهرون لا يضرُّهم من خـالفهم ، وهم يدُ على من سواهم .

ولـم أنـصفنا لمـا أنكرنـا .. بـل تناصـحنا ،، ونـصحنا .. فهـل مـن تـشبَّه بالكفار في : كلامه ، وملبسه ، وعاداته .. على شريعةٍ من أمره ؟؟ .

وهل من قلَّد في عقائده الإشراقيَّة ، وخالف قول الفقهاء وأهل الأصـول في [الإلهام] وأمثاله ، على بيِّنةٍ في جهره وسرِّه ؟؟ .

فهي واحدةٌ بواحدةٍ .. والكلُّ مطالبون بـ :

التحـرِّي في كلِّ الأحوال ، والإنصاف في المقال ، والبعد عن المزالق ، واتِّباع سبيل أهل البحث والاجتهاد ، ففي قولهم أيَّاً شئت منهم – لا ريب – النجاة والسداد .

ولا تكونـوا ممـن يُزكـون أنفـسهم ، أو يزكـون علـى الله ﷻ أحـدا ، ويطعنون في الخصم ما ساقهم إليه إلاَّ البغض والعِدا ، ولا يُغـالون فيمن أحبوا ، ولا يبخسوا قدر من خالفوا .. بل منهج الإسلام ..

يقول تعالى :

{ .. وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى .. } [21]**..**

ويقول تعالى :

{ يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قوَّامين لله شـهداء بالقسط ولا يجـرمنَّكم شـنآن قومٍ على ألاَّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتَّقوا الله إنَّ الله خبيرٌ بمـا تعملون **}**[22] **.**

ويقول :

21 المائدة / 152 .
22 المائدة / 8 .

{ وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتَّبعتم الشيطان إلاّ قليلا } [23]

أيمكن أن يكون الكفار أحسن حالاً منكم ؟ ؟ ! .

أ لم نرهم قد : اختلفوا ، واتَّفقوا ، ووالوا وعارضوا .. بل وتجمعهم الشدائد ، وليس لهم إلاّ مصالحهم التي قد لا يقرُّها .. شرعٌ ، ولا عقل .

فهل نتنكب أمر الله ﷻ ويتمسك به الكافرون ؟ ؟ !

أليست مصلحة الدين تقتضي منَّا اليوم – بل وفي كلِّ حين – ألاَّ نكون على ما نحن عليه ؟؟ ! .

أليس من الأجدر أن نبحث حلول المسائل الجديدة ؟؟ ! .

أليس من الأجدر أن نقف على سرَّاق ثروات المسلمين من الكفار ، ونعدّ لهم ما يأمرنا به الشرع ؟؟ ! .

ألم يقل ربُّكم : { يا أيُّها الذين آمنوا خذوا حِذركم } [24]؟؟ !

×××××××

فهلاَّ رجعنا إلى أهل العلم المشهود لهم بـ : بالعفة والديانة ، والنُصفة والأمانة ، والحصافة في القول مع اللطافة .. ؟؟ .

---

23 النساء / 83 .

24 النساء / 71 ، وراجع : النساء / 102 .

أم أننـا – ويـا للأسـف - رجعنـا إلـى : أهـل البـذاءة مـع الجهـل ، والمجـاوزة فـي الكـلِّ ، والـدعاوى القاتلـة ، والإدِّعـاءات الفارغـة ، والتطـاول والتـشامخ ، وإلـى الـداعين إلـى عـدم التحـري .. بـل وعـدم التسامح ؟؟ .

فأنظر .. أيُّ الفريقين أهدى وأوضح سبيلا ؟؟ ! .

×××××××

وإلى من ادَّعى من غير حجـة .. فإليـه قـول الإمـام أبـي الثنـاء محمـود شهاب الدين الآلوسي البغدادي المتوفى سنة 1270هـ ، في ثبوت كتـاب [الإبانة] إلى الإمام أبى الحسن الأشعري ، وأرغم بذلك زعم المفتري ، وأنه آخر مـا فـارق الـدنيا عليـه ، وهـو نفس طريـق السلف ، فأضـحى السلف والخلف ، في بحبوحة عيش الشريعة الغراء في كل خير وترف [25].

ومن جعل كلمة [الخلف] سبَّةً .. فهل هو إلاَّ منهم ؟ ؟ ! .

وهل من سلفٍ إلاَّ وهناك خلف ؟ ؟ !

أيُّها القوم .. إنَّ العبرة [بحقيقة المسمَّيات لا باختلاف الأسماء] ، فلا تكونوا كأولئك الذين فرضوا التلازم – من غير لازم – بين :

الدين .... و التخلف ! .

---

25 روح المعاني للآلوسي – 10/ 60 .

والرجعية .... و عدم الفهم !.

والكتب الصفراء و الجهل !.

وبين .. وبين .. الخ .

×××××××

وفي الختام .. ندعو الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه ، مرعية بعطفه ، وأن يقع ما نقول في قلوبٍ مؤمنة ، وعقولٍ مدركة ..

وأن .. يؤلف القلوب ، ويزيل المفاسد ، فالإسلام ما انتصر بفرقة ، ولا انتشر مع الفتنة ، فمن عهد الرسالة إلى نهايات عهد عثمان ﷺ هو بتوسع دائم ، وتوقفت الفتوحات أيام الخلافات زمن سيدنا علي ﷺ ، فلا تُيْقظوها وهي نائمة ! .

ألا هل بلغت ؟ ؟ .. اللهم اشهد ...والحمد لله رب العالمين ~~

الفقير إلى لطف المولى الغزير

العبد المقرِّ بالذنب والتقصير

د . محمد محروس آل العلاقة بند الأعظمي الطائي الحنفي

عامله الله وآباءه بلطفه الجليِّ والخفيِّ

[الشهيرة عائلته بآل المدرِّس]